

أضواء البيان

@ 376 وقوله : { وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّ زَمَامًا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ } ، إلى غير ذلك من الآيات . .
وقرأ هذا الحرف نافع ، وابن عامر ، وابن كثير ، وأبو عمر : { فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ } بضم الياء وفتح الدال . من (يَهْدِي) مبنيًا للمفعول . وقوله : { مِنْ } نائب الفاعل . والمعنى : أن من أضله لا يهدي ، أي لا هادي له . .
وقرأه عاصم ، وحمة ، والكسائي بفتح الياء وكسر الدال ، من (يَهْدِي) مبنيًا للفاعل . وقوله : { مِنْ } مفعول به ليهدى ، والفاعل ضمير عائد إلى الله تعالى . والمعنى : أن من أضله لا يهديه الله . وهي على هذه القراءة فيمن سبقت لهم الشقاوة في علم الله . لأن غيرهم قد يكون ضالًا ثم يهديه الله كما هو معروف . وقال بعض العلماء : لا يهدي من يضل ما دام في إضلاله له . فإن رفع الله عنه الضلالة وهدايه فلا مانع من هدايه . والعلم عند الله تعالى .
قوله تعالى : { وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بِلَايَ وَعَدَاً عِلَايَهُ حَقًّا } . ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أن الكفار حلفوا جهد أيمانهم أي اجتهدوا في الحلف وغلظوا الأيمان على أن الله لا يبعث من يموت . وكذبهم الله جل وعلا في ذلك بقوله : { بِلَايَ وَعَدَاً عِلَايَهُ حَقًّا } ، وكرر في آيات كثيرة هذا المعنى المذكور هنا من إنكارهم للبعث وتكذيبه لهم في ذلك ، كقوله : { زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا } قُلْ بِلَايَ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ } ،
وقوله : { كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نَعْتِدُهُ وَآخِرَهُمْ نَعْتِدُهُمْ وَإِنَّا لَنُؤْتِيهِمُ أَجْرًا كَبِيرًا } وقوله : { وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ } قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ } ، وقوله : { فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ } والآيات بمثل هذا كثيرة جدا . .
وقوله : { بِلَايَ } نفي لنفيهم البعث كما قدمنا . وقوله : { وَعَدَاً } مصدر مؤكد لما دلت عليه (بلى) . لأن (بلى) تدل على نفي قولهم : لا يبعث الله من يموت . ونفي هذا النفي إثبات ، معناه : لتبعثن . وهذا البعث المدلول على إثباته بلفظة (بلى) فيه معنى وعد الله بأنه سيكون . فقوله : { وَعَدَاً } مؤكد له . وقوله : { حَقًّا } مصدر أيضا .
أي وعد الله بذلك وعدا ، وحقه حقا ، وهو